



العلاقات البيزنطية الصليبية منذ نشأة الإمبراطورية البيزنطية الى نهاية الحملة الصليبية الرابعة

م.د. محمد صكر هاشم

م.د. مجيد محمود نايف

جامعة الأنبار-كلية التربية الاساسية/ حديثة

المديرية العامة لتربية الأنبار

mhammed.sagur@uoanbar.edu.iq

DOI

10.37653/juah.2022.176857

الملخص:

ولدت الإمبراطورية البيزنطية من رحم الإمبراطورية الرومانية في أوروبا ، وانفصلت عنها ، وكونوا إمبراطوريتهم الخاصة بهم التي تختلف طبائع شعوبها وسكانها عن شعوب وسكان أوروبا غير المتحضرين الذين يمتازون بالقوة والقسوة والوحشية ، لهذا قد غلب على هذه العلاقات طابع الحذر والريبة والشك وعدم الثقة بين الطرفين ومحاولة انتزاع ما في يد الآخر والإيقاع به كلما ساحت له الفرصة ، حتى وإن كان ذلك على حساب عقيدتهم التي جاءوا من أجلها ، ونجد هذا الشيء حاضراً عند الملك البيزنطي اليكسيوس الأول وغيره من ملوك بيزنطة ، بعد طلب النصر من الغرب الأوربي (الصليبيين) إخوانه في الدين والعقيدة ضد السلاجقة المسلمين فندم واحتاط منهم وخشية على ملكه ودولته ، وعلى مر السنين والعصور أخذت العلاقات بينهم تسوء وتتوتر شيئاً فشيئاً ، واستمر الملوك والأمراء الصليبيون ورجال الكنيسة الكاثوليكية بالضغط على الدولة البيزنطية من أجل السيطرة والاستحواذ على ممتلكاتها وثرواتها ودمج كنيستها مع الكنيسة الأم في روما حتى انهارت تلك العلاقات . وأخذ هذا التدخل أشكالاً وصوراً مختلفة حتى جهزوا في النهاية حملة صليبية جديدة من أوروبا عرفت ب(الحملة الصليبية الرابعة) تمكنوا من خلالها احتلال القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية وعمل السيف في أهلها من قتل وسلب ونهب المدينة وحرقتها بكل وحشية ، حتى تمنى أهلها لو أن مدينتهم سقطت بيد

تم الاستلام: ٢٠٢٢/٢/٧

قبل للنشر: ٢٠٢٢/٩/١٤

تم النشر: ٢٠٢٢/١٢/١

الكلمات المفتاحية

العلاقات

البيزنطية

الصليبية

Byzantine-Crusader Relations from the Establishment of the Byzantine Empire to the End of the Fourth Crusade

Dr. Majeed M. Naief

Dr. Mohammed S. Hashem

General Directorate of Education in Anbar

University of Anbar - College of Basic Education - Haditha

Abstract:

The Byzantine Empire was born from the womb of the Roman Empire in Europe, separated from it, and formed their own empire, whose natures are different from the uncivilized peoples and inhabitants of Europe who are characterized by strength, cruelty and brutality. The trait of caution doubt and suspicion prevailed these relation and the attempt to grab What is in the hand of the other and to set him up whenever he has the opportunity, even if he is on their faith for which they came, and we find this thing present with the Byzantine Emperor Alexios I and other kings of Byzantium, after asking for support from the Western European (the Crusaders) his brothers in religion and belief against the Seljuks The Muslims regretted and guarded them and feared for his sovereign and his state, and over the years and ages, the relations between them became bad and gradually became tense, and the kings, crusader princes and men of the Catholic Church continued to pressure the Byzantine state in order to control and seize its property and wealth and to merge its church with the mother church in Rome until those relations collapsed . This intervention took different forms and images until, in the end, they prepared a new crusade Campaign from Europe known as the (Fourth Crusade Crusade), through which they were able to occupy Constantinople, the capital of the Byzantine Empire, and the sword worked in its people by killing, plundering and looting the city and burning it with brutality, until its people wished that their city had fallen in the hands of the Muslims, when they heard of the Muslims' tolerance when they conquered Bait Al-Maqdis and others.

Submitted: 07/02/2022

Accepted: 14/09/2022

Published: 01/12/2022

Keywords:

Relations

Byzantine

Crusader.

©Authors, 2022, College of Education for Humanities University of Anbar. This is an open-access article under the CC BY 4.0 license (<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>).





المقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ ، وعلى اله وصحبه الطيبين الطاهرين. في خضم التنافس الاستعماري وتضارب المصالح السياسية والاقتصادية والدينية التي ظهرت على مسرح الأحداث للعالم النصراني برزت مجموعة من الأحداث والمستجدات التي تربط الإمبراطورية البيزنطية بالغرب الأوربي الذين أطلق عليهم تسمية (الصلبيين) نسبةً إلى الصليب الذي طرز على صدورهم واتخذ شعاراً لهم في قتالهم ضد الديار الإسلامية عند غزوهم للبلاد الإسلامية في المشرق سواء كانت تلك الصلبان قد رسمت على ملابسهم أم على الرايات التي يقائلون تحتها، نتيجة لدور الكنيسة في الغرب الأوربي وأطماعها التي أسهمت في تأجيج مشاعر الكره ضد المسلمين ، وما أحدثته من نتائج ومتغيرات في تاريخ العالم الإسلامي على مر العصور ، التي دونها المؤرخون المسلمون وغيرهم من الأوربيين الصليبيين أو البيزنطيين في المشرق ، اذ ظهرت لنا مجموعة من العلاقات والصراعات التي تدور رحاها بين الطرفين (البيزنطيين والصلبيين القادمين من أوربا) إذ تجمعهم تارة وتفرقهم تارة أخرى حتى بدا لنا ما كان يفرقهم أكبر بكثير مما يجمعهم ، لهذا فقد وجدت الرغبة في أن أكتب بحثي هذا الموسوم : (العلاقات البيزنطية الصليبية منذ نشأة الإمبراطورية البيزنطية الى نهاية الحملة الصليبية الرابعة) لأوضح فيه تلك العلاقات ودورها في الحروب الصليبية ضد الديار الإسلامية وتأزم تلك العلاقات وأثرها في تأجيج الكثير من الصراعات بين البيزنطيين والصلبيين الأوربيين على مر العصور ، وما رافقها من احداث مهمة وجسيمة في تلك الحقبة من التاريخ على العالم الإسلامي والنصراني . وقد قسمت هذا البحث الى بحثين: تناولت في المبحث الأول : العلاقات البيزنطية الصليبية التي سبقت الحملات الصليبية ، فضلاً عن التعريف بالإمبراطورية البيزنطية من حيث التسمية والموقع والنشأة ، والتي ولدت من رحم الإمبراطورية الرومانية الغربية في إيطاليا . أما المبحث الثاني: فقد تطرقت فيه إلى العلاقات البيزنطية الصليبية منذ الحملة الصليبية الأولى إلى الحملة الصليبية الرابعة . إذ تناول هذا المبحث الهزائم البيزنطية قبل الحملة الصليبية الأولى التي كانت السبب المباشر لمناشدة الملك البيزنطي(اليكسيوس كومنين) النجدة من البابا أوربان الثاني لنصرته ضد السلاجقة المسلمين ، حتى اصبحت هذه المناشدة وبالاً على الإمبراطورية البيزنطية فيما بعد . ثم اهتم هذا المبحث بدراسة الأبعاد

السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية التي طغت على هذه العلاقات وكانت من أهم عوامل المد والجزر فيما بينهم على مر العصور، حتى سقوط عاصمة الإمبراطورية البيزنطية على يد هؤلاء الصليبيين الأوربيين في الحملة الصليبية الرابعة . أما الخاتمة فقد تضمنت اهم النتائج التي توصل اليها الباحث .

المبحث الأول

العلاقات البيزنطية الصليبية التي سبقت الحملات الصليبية

أولاً : البيزنطيون وجذورهم التاريخية

أ- التسمية والموقع :

بيزنطة : هو اسم لمدينة يونانية قديمة أسست في القرن السابع قبل الميلاد ، تقع على مضيق البسفور واختارها قسطنطين عاصمة لدولته^(١) ، فحملت إمبراطورتيه هذا الاسم (الإمبراطورية البيزنطية) نسبةً الى هذه المدينة ، أما العاصمة فقد حملت اسم مؤسس هذه الإمبراطورية قسطنطين ، فأطلق عليها مدينة (القسطنطينية) نسبةً الى اسم مؤسسها قسطنطين ولها اسم آخر أيضاً هو مدينة (روما الجديدة) ولكن غلب عليها اسم مؤسسها فاشتهرت باسم القسطنطينية التي اكتمل بنائها سنة ٣٣٠م^(٢) ، في آسيا الصغرى (تركيا حالياً) التي اتخذها مقراً له ، بدلاً عن روما في أوروبا.

ب- نشأة الإمبراطورية البيزنطية :

ولدت الإمبراطورية البيزنطية من رحم الإمبراطورية الرومانية الغربية ، إذ انشطرت الإمبراطورية الرومانية الغربية إلى شطرين : أحدهما في الغرب (أوروبا) والآخر في الشرق في (تركيا حالياً) فانشأ الإمبراطور قسطنطين إمبراطوريته في مدينة إغريقية قديمة عرفت باسم (بيزنطة)^(٣) ، وعلى هذا الأساس فإن تاريخ هذه الإمبراطورية قد ارتبط بعاملين أساسيين الأول : هو اتخاذ القسطنطينية عاصمة بدلاً من روما ، والثاني : هو الاعتراف بالديانة النصرانية ديانة رسمية في كافة أنحاء الإمبراطورية^(٤) ، وبعد وفاة الإمبراطور ثيودوسيوس الأول سنة ٣٩٥م خلفه على حكم الإمبراطورية ابنه أركاديوس ت ٤٠٨م على عرش الحكم فكان عهده بداية انفصال الإمبراطورية الرومانية الشرقية عن الإمبراطورية الغربية في أوروبا التي كانت عاصمتها الأم روما^(٥) ، التي سقطت فيما بعد على يد البرابرة سنة ٤٧٦ م في حين بقيت الإمبراطورية البيزنطية محافظة على مكانتها وقوتها على الرغم مما تعرضت

له من دمار وخراب على يد البرابرة ، وإن انتابها الاضطرابات والفوضى والمشاكل في حقب تاريخية مختلفة إلا أنها وإن ضعفت فإنها لم تسقط او تنهار تماماً . حتى سنة ١٤٥٣م / ٨٥٧هـ عندما فتحت على يد السلطان العثماني محمد الفاتح^(٦)، وانتهت هذه الإمبراطورية إلى الإيد .

ثانياً: العلاقات البيزنطية في عهد الإمبراطور ليو الايسوري (ت ١٢٣هـ / ٧٤١م)

مع الكنيسة الغربية

إن دراسة التاريخ البيزنطي وعلاقة اباطرتها بالكنيسة الغربية يجد الباحث فيها الكثير من الصراعات والتناقضات الدينية والمذهبية والسياسية والعنصرية إذ نرى أن الخلافات المذهبية عند النصارى قد أخذ بعداً عنصرياً بين الملوك في القسطنطينية والكنيسة الكاثوليكية في روما ، فقد تبني الروم بيزنطة المذهب الأرثوذكسي الذي يتقاطع في كثير من الأحيان مع المذهب الكاثوليكي ، الذي تتبناه الكنيسة في روما التي تعد الكنيسة الأم . إذ ظهر هناك صراعات وخلافات كثيرة في وقت مبكر ، قبل الحملات الصليبية بقرون عدة . فنجد أن الإمبراطور البيزنطي ليو الايسوري قد أصدر مرسوماً سنة ١٠٨هـ / ٧٢٦م بتحريم عبادة الأيقونات (الصور) وأمر بإزالة جميع الصور والتماثيل من الكنائس التي كانت منتشرة آنذاك في بيزنطة ، فردت عليه البابوية بحرمان كنسي وطرده من النصرانية^(٧) ، فدفع هذا الإجراء الإمبراطور البيزنطي إلى أن يرسل أسطولاً بحرياً إلى صقلية وإيطاليا لينتقم من البابا والكنيسة ويصادر أمواله وأملكه . ثم عمل على زيادة الضرائب على أهل صقلية وأمر بتسجيل المواليد لكي يضمن الضرائب ، ثم عمل على انتزاع صقلية والقلورية والبرايا من يد البابا وضمها إلى كنيسة القسطنطينية^(٨) .

لهذا فإن العلاقة التي كانت تربط ملوك بيزنطة مع الكنيسة الأم في روما لم تكن على وفاق دائم أو خضوع لسيادة البابا في روما كما هو مفهوم لدى الملوك الصليبيين في أوروبا إذ نجد الكثير من العلاقات التي كانت تغطي عليها المشاكل والصراعات بسبب الاختلاف المذهبي بين الاثنتين فضلاً عن محاولة كل طرف منهم إخضاع الطرف الآخر والسيطرة عليه بشتى الطرق الوسائل والأدوات .

ثالثاً : محاولة شارلمان توحيد الامبراطوريتين البيزنطية والرومانية

منذ الشهور الأولى لتتويج شارلمان (ت ١٩٨هـ/٨١٤م) على عرش الإمبراطورية الرومانية شرع في الحصول على الاعتراف به إمبراطوراً على الروم الغربيين . فبدأ بأخذ الاعتراف من الملكة البيزنطية إيرين^(٩) ، لأنه أدرك ان هذا اللقب ظل حكراً على من يتربع على عرش الإمبراطورية البيزنطية^(١٠) ، لهذا فقد عمل على استشارة البابا ليو الثالث واتفقوا على الجلوس للمفاوضات مع الملكة إيرين. ثم فكرو في عقد زواج سياسي بين شارلمان وإيرين لخدمة أطماع شارلمان ، لكي يتربع على عرش الإمبراطوريتين (البيزنطية والرومانية) فيكون هو الإمبراطور الشرعي والمهيمن على جميع أملاك الدولة البيزنطية . فأرسل شارلمان مبعوثين من رجال القصر ورجال الكنيسة سنة ١٨٥هـ/٨٠٢م إلى الملكة إيرين لطلب الزواج منها، فوافقت على عرضه هذا بالفرح والسرور^(١١) ، وكان شارلمان مدركاً أن عرضه هذا للزواج من الملكة إيرين سيواجه بالرفض والمعارضة من لدن الشعب البيزنطي ، لأن البيزنطيين لا يقبلوا أن يتوج عليه ملكاً غريباً من السلالة الفرنجية . فأرسلت الملكة إيرين إلى شارلمان تبليغه موافقتها على طلبه للزواج منها ، أما الشعب والبلاط في القصر فكانا معارضين بشدة لهذا الزواج . وفي أثناء مدة مكوث رسل شارلمان في بيزنطة ، حدث انقلاب على الملكة إيرين بقيادة نفقور ، فاستطاع نفقور وأنصاره أن يجبروا الملكة إيرين على التنازل عن حكم بيزنطة ، وتتويج نفقور إمبراطوراً على عرش بيزنطة محل الامبراطورة إيرين^(١٢) ، وبذلك أخفقت كل محاولات جهود شارلمان في التربع والسيطرة على عرش الإمبراطورية البيزنطية عن طريق هذا الزواج .

ونفقور هذا صاحب الرسالة الشهيرة التي أرسلها إلى الخليفة هارون الرشيد سنة ١٨٧هـ/ ٨٠٤م ، التي أكد فيها عن امتناعه عن دفع الجزية التي كانت تدفعها الملكة إيرين للخليفة هارون الرشيد ، وطلب من الخليفة أيضاً إعادة جميع الاموال التي دفعتها الامبراطورة إيرين سابقاً . فكان رد الخليفة هارون الرشيد قوياً ومزلزلاً على ظهر الرسالة^(١٣) ، فعاد نفقور ودفع الجزية وهو صاغراً^(١٤) .

رابعاً : العلاقات البيزنطية الصليبية قبيل الحملات الصليبية

تميزت العلاقة بين البيزنطية والصليبيين في أوروبا بالمد والجزر على حسب المصالح والنفوذ والأطماع القائمة بين الطرفين ، واتخذ كل طرف منهم العامل الديني الذي يعد من أنجح الوسائل لتحقيق الأطماع والتوسع على حساب الآخر . فنلاحظ أن الكنيسة الكاثوليكية

في روما كانت على الدوام تحاول إعادة الكنيسة الأرثوذكسية في بيزنطة إلى أحضان الكنيسة الرومانية الأم في إيطاليا واخضاعها والاستحواذ على ممتلكاتها وثرواتها بثتى الطرق والوسائل^(١٥) ، ويتضح هذا الغرض من خلال دعوة البابا جريجوري السابع سنة ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م عندما جمع جيشاً من ٥٠ ألف مقاتل من إيطاليا وفرنسا وأوريا ودعا إمبراطور ألمانيا هنري الرابع ليشارك في هذه الحملة المتوجهة نحو المشرق ضد الدولة البيزنطية والمسلمين ، من أجل احتلال بيت المقدس كهدف معلن وقد أيد نداء البابا هذا الكثير من الإقطاعيين في فرنسا^(١٦) ، ولكن البابا جريجوري السابع أخفق في تحقيق مبتغاه ولم يستطع أن يحقق ما كان يروم إليه ، وذلك بسبب صراعه مع إمبراطور ألمانيا هنري الرابع . فقد أجل أطماعه في بيزنطة والسيطرة عليها لزمان طويل ، وانشغل في عداه لإمبراطور ألمانيا هنري الرابع .

وعلى الرغم من كل تلك المشاكل والظروف فإن البابا جريجوري السابع لم يتنازل عن فكر إعادة الكنيسة الأرثوذكسية إلى أحضان الكنيسة الكاثوليكية في روما^(١٧) ، ونلاحظ أن البابا هذا قد بارك وأيد الهجوم الذي شنه النورمان سنة ٤٧٣هـ / ١٠٨٠م على ممتلكات الدولة البيزنطية في إيطاليا . وشجع البابا جريجوري السابع الأمراء ورجال الدين والفرسان في جنوب إيطاليا على الاشتراك بهذه الحملة النورمانية . مقابل منحهم صكوك الغفران^(١٨) .

المبحث الثاني

العلاقات البيزنطية الصليبية منذو الحملة الصليبية الأولى حتى الحملة الصليبية

الرابعة

أولاً : الهزائم البيزنطية على يد السلاجقة ودورها في العلاقة مع الصليبيين

الأوروبيين

تعد معركة ملاذكرد واحدة من أعظم النكبات والهزائم التي حلت بالإمبراطورية البيزنطية على مر التاريخ ، إذ استطاع السلطان السلجوقي ألب أرسلان سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧١م أن يهزم جيش الملك البيزنطي رومانوس الرابع (ت ٤٦٤هـ / ١٠٧٢م) ويأسره ، إذ كان تعداد جيشه ٢٠٠ ألف مقاتل أما تعداد الجيش السلجوقي الاسلامي فكان ١٥ ألف مقاتل^(١٩) ، فكانت هذه المعركة بمنزلة الكارثة التي احلت بالعالم النصراني الشرقي والأوروبي الغربي . مما اضطر الإمبراطور البيزنطي اليكسيوس الأول إلى التوجه نحو أوربا سنة ٤٨٣-

٤٨٤هـ / ١٠٩٠-١٠٩١م لطلب النصره والمؤازرة ، نتيجة للهزائم المتكررة التي منيت بها القوات البيزنطية على يد السلاجقة المسلمين ، فأرسل الإمبراطور اليكسيوس الأول (ت٥١٢هـ/١١١٨م) رسائل ومبعوثين إلى ملوك وأمراء الغرب ، لطلب الإمدادات والمعونات العسكرية ، فضلاً عن مراسلة البابا في روما لطلب النصره ومد يد العون ، فكان الاعتماد عليه أكثر من غيره من ملوك وأمراء أوربا لما له من مكانة ورمزية دينية على الملوك والأمراء في أوربا ، فضلاً عن المجتمع الاوربي على مختلف طبقاته^(٢٠) ، فاستجد الإمبراطور اليكسيوس بالبابا أوربان الثاني (ت٤٩٢هـ/١٠٩٩م) أكثر من مرة لمساعدته في الدفاع عن بيزنطة وأراضيها^(٢١) ، ويبدو أن البابا أوربان الثاني كان متحمساً أكثر من غيره في أوربا وينتظر الفرصة الملائمة لدعوة الغرب الأوربي الى شن حملة صليبية كبرى ضد العالم الإسلامي ، إذ كان الإمبراطور البيزنطي يطمع في استغلال العاطفة الدينية عند الصليبيين لمواجهة الخطر السلجوقي لمصلحته الخاصة ضد خصومه ومناوئيه ، لاستعادة الأراضي والممتلكات التي خسرها في حربه مع السلاجقة ، وبذلك اجتمعت مصلحة الإمبراطورية البيزنطية مع أطماع الكنيسة الغربية ، على الرغم مما يضره كل واحدا للآخر وما يحمله الطرفان من تناقض وصراع بينهما^(٢٢) ، ففي سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م القى البابا أوربان الثاني خطبته الشهيرة في كنيسة كليرمونت في جنوب شرق فرنسا التي دعا فيها المسيحيين في اوربا الى مساعدة إمبراطور بيزنطة ، وأمر ملوك وأمراء أوربا بإعداد الجيوش وتجهيزها لغزو المسلمين ابتغاء الحصول على التوبة والثواب ومنحهم صكوك الغفران^(٢٣) ، ويبدو أن البابا أوربان الثاني في خطابه في مجمع كليرمونت ، لم ينس أو يغفل عن الأحداث في بلاد الأندلس (إسبانيا) التي كانت تحت حكم المسلمين آنذاك في ظل دولة المرابطين^(٢٤) ، إذ حرم البابا على الإسبان أن يشاركوا في الحروب الصليبية في المشرق . لأنه وصف المسلمين بأعداء النصرانية وأنهم يحتلون ارضيهم ، فيجب محاربتهم في اسبانيا وإخراجهم منها بدلاً من أن يتوجه الاسبان الى خارج ديارهم والمشاركة في الحروب الصليبية في المشرق ، لأنه اراد حرباً شاملة ضد المسلمين في كل مكان^(٢٥) . فلبى الكثير من صليبيي أوربا نداء البابا أوربان الثاني وشاركوا في هذه الحملة من مختلف طبقات المجتمع الأوربي ومن دول وإمارات مختلفة ليندفعوا نحو بيت المقدس لاحتلاله ، إذ كان لكل رجل اشترك في هذه الحملة غايات وأهداف ومصالح أو ظروف خاصة دفعتة إلى المشاركة في هذه الحروب أو بسبب ما



أشاعته الكنيسة من تزييف وتضليل وخرافات وبدع وصكوك غفران ، استغلّت جهل هؤلاء الناس وسوء أحوالهم الاقتصادي في بلدانهم وما يعانیه المجتمع الأوربي من فقر وجهل وتخلف ، إذ كان للكنيسة أهداف خاصة بها ترغب في تحقيقها من خلال هذه الفرصة التي سنحت لها ، فكانت ترغب في السيطرة والاستحواذ على ثروات وممتلكات الكنيسة الأرثوذكسية والسيطرة عليها . وبهذا الزيف والتضليل والخداع والالوهام وجهت الكنيسة الجيوش والشعوب والفئات المستعبدة في الغرب الأوربي نحو المشرق الإسلامي تحت حجج واذرع مختلفة فاتخذوا الصليب شعاراً لهم لتعطيها صفة القداسة^(٢٦) .

ثانياً : الأبعاد الرئيسية في العلاقات والصراعات البيزنطية الصليبية

اتسمت العلاقات البيزنطية الصليبية بمجموعة من العوامل التي أدت دوراً أساسياً في إنضاجها ، إذ لم تكن تلك العلاقات ثابتة ومرتنة ولم يكن لها هدف واحد كما كان معلناً من لدن البابا في روما . بل تداخلت الأهداف والمصالح والأطماع والسياسات وأساليب المكر والخداع ، حتى أصبح ما يفرق البيزنطيين عن الصليبيين الأوربيين أكثر مما يجمعهم ، ولم يقتصر الأمر على رجال الحكم والسياسة والتجار والمغامرين حتى اشترك في هذا الأمر رجال الدين في الكنيسة الغربية وكانت لهم أهداف وأطماع في بلاد المشرق أيضاً ، فلم تنحصر هذه الأطماع في الاستيلاء على بيت المقدس مهد السيد المسيح بل تعدت ذلك بكثير ، إذ حاول البابا في روما السيطرة والاستحواذ على الكنيسة الأرثوذكسية في القسطنطينية أيضاً ، وضمها لى الكنيسة الأم في روما ونهب كل ثرواتها وممتلكاتها ، لهذا فيمكن إن نحدد أهم الأبعاد التي امتازت بها العلاقات البيزنطية الصليبية على النحو الآتي :

١- البعد السياسي

إن المنتبغ لتاريخ العلاقات السياسية ما بين الصليبيين في الغرب الأوربي والبيزنطيين في المشرق يجد من خلالها الكثير من التناقضات والمتغيرات التي تحكم تلك العلاقات ، لأنها قائمة على حب الاستحواذ والسيطرة والقهر وتدمير كل شيء حتى وإن كان ذلك على حساب دينهم ومعتقدهم أو ما يؤمنون به من مبادئ وادعاءات ، فإن كل هذه تنهار وتذوب أمام المصالح والأطماع ، فضلاً عن الشك وعدم الثقة والخوف من غدر الطرف الآخر ، لأن الذي يجمعهم الطمع والجشع وليس شيئاً آخر . فنجد هذا الهاجس وسوء الظن بالطرف الآخر ، كان قائماً قبل الحروب الصليبية بأعوام عديدة ، إذ استتجد الإمبراطور البيزنطي بالسلاجقة

لصد الزحف والأطماع النورماندية ، عندما تقدمت قوات من النورمنديين . نحو القسطنطينية لاحتلالها. وكان هذا الجيش بقيادة روسيل دو بايول (ت ٤٦٩هـ/١٠٧٧م) فحاصر هؤلاء القسطنطينية مما اضطر الإمبراطور البيزنطي ان يطلب العون والمساعدة من أعدائه السلاجقة بزعامة سليمان بن قتلمش (ت ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م) في صد الزحف النورمندي ، حتى إن ابن قتلمش أصابه الذهول ولم يصدق ما سمعت أذناه عندما توسل به مبعوث الإمبراطور البيزنطي ، فاستجاب سليمان إلى طلب الإمبراطور البيزنطي . وأعانه على صد الزحف النورمندي وتمكن من طردهم وإبعادهم عن القسطنطينية. حتى إن الإمبراطور البيزنطي أكثر من إكرام السلطان السلجوقي سليمان مقابل نصرته له ضد الغزو النورمندي^(٢٧) ، وهناك من المصادر ما تشير إلى أن الأمير النورمندي روبرت جسكارد (ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) الذي سيطر على صقلية وطرده المسلمين منها هو من غزا الأراضي البيزنطية مما اضطر الإمبراطور البيزنطي إلى الاستجداد بكل القوى المحيطة به لمساعدته في صد هذا الهجوم النورمندي^(٢٨) ، ونلاحظ أن النورمنديين كانوا أولى الجيوش الصليبية التي لبث نداء البابا أوربان الثاني عندما دعاهم لنصرة بيزنطة ، وهم أول من غزا بيزنطة من الصليبيين الأوربيين بأكثر من عقد من زمن الحملة الصليبية الأولى^(٢٩) ، ونجد بالمقابل استجداد الإمبراطور البيزنطي بملوك الغرب الأوربي ضد السلاجقة الذين اذاقوه ذل الهزيمة في العديد من المعارك ، ومع هذا نجد الإمبراطور البيزنطي اليكسيوس لم يأمن على نفسه وبلاده عندما سمع بقرب وصول الجيوش الصليبية الأوربية الكثيرة العدد ، إذ خاف منهم على بلاده ونفسه وندم على هذا الاستجداد الذي كان مستعجلاً وغير مدروس من جميع النواحي ، ثم عمل على تدبير الحيل والمكايد لهؤلاء الصليبيين الأوربيين^(٣٠) ، حتى إنه لم يسمح لهم بدخول عاصمته القسطنطينية ، عندما وصلت الحملة الصليبية الأولى (الحملة العامة او ما يعرف بالشعبية) سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٦م وطلب منهم البقاء خارج أسوار القسطنطينية^(٣١) ، فانطلقت هذه الجيوش تعيث فساداً تقتل وتتهب وتسلب وتخرب كل شيء حتى ان الكنائس البيزنطية هي ايضاً لم تسلم من شرهم^(٣٢) ، وفي نفس العام أيضاً وصلت حملة أخرى إلى القسطنطينية التي سميت بحملة الأمراء . وأصبح الإمبراطور البيزنطي يخشى من هذه الحملة أكثر من التي سبقتها ، لكونها حملة نظاميه يقودها الأمراء والنبلاء الأوربيون الذين لهم أطماع كبيرة في بلاده ، فاضطروهم الإمبراطور البيزنطي اليكسيوس إلى الاعتراف به وتقديم الولاء والطاعة

له قبل كل شيء ، وأدوا القسم على ذلك وأجبرهم أيضاً على التعهد له بإعادة جميع الأراضي التي استولى عليها السلاجقة في السابق من الإمبراطورية البيزنطية^(٣٣) ، ونتيجة لهذا الإجراء أخذت بوادر النفور وعدم الثقة في العلاقات بين الإمبراطور البيزنطي اليكسيوس والأمراء الصليبيين ، الذين عدوا يمين الولاء والطاعة له نوعاً من أنواع الإذلال وانعدام الثقة من جهة ، ومن جهة أخرى فإن هذه الاتفاقية الجديدة لا تتسجم مع مطامعهم الشخصية والدوافع الاستعمارية التي خططوا لها وأتوا من أجلها^(٣٤) ، ثم توجه القوات البيزنطية والجيوش الأوربية الصليبية نحو مدينة نيقية^(٣٥) عاصمة السلاجقة وحاصروها حصاراً شديداً من جميع الجهات ، فلما طال الحصار على أهل نيقية أرسلوا إلى إمبراطور بيزنطة يدعونه إلى تسلم المدينة على شرط أن يسمح لهم بالخروج منها مع نسائهم وأطفالهم وجميع ما يملكون ، فأجابهم الإمبراطور إلى ما سئلوا ووضع يده على المدينة في سنة ١٠٩٧/هـ ١٠٩٧م وبذلك تعد مدينة نيقية أول مدينة يستولي عليها الصليبيون والبيزنطيون من السلاجقة^(٣٦) . ونلاحظ أن الإمبراطور البيزنطي اليكسيوس كان حريصاً على استعمال المكر والحيلة والدهاء مع الصليبيين الجدد القادمين من أوروبا . إذ كان يرغب في التخلص منهم ومن شرهم كلما سنحت له الفرصة ففي سنة ١٠٩٧/هـ ١٠٩٧م عزم الصليبيون ومن تحالف معهم على التوجه نحو بلاد الشام ، فساروا نحو القسطنطينية ليعبروا منها إلى بلاد المسلمين سالكين الطريق البري فلما وصلوا إليها منعهم الملك اليكسيوس من السير عبر القسطنطينية. وذكر ابن الأثير أنه : (قال لا أمكنكم من العبور إلى بلاد الإسلام حتى تحلفوا لي إنكم تسلمون إلي أنطاكية) وكان قصده (يحثهم على الخروج إلى بلاد الإسلام ظناً منه ان الاتراك لا يبقون منهم أحداً لما رأى من حريهم)^(٣٧) . ويبدو أن الإمبراطور البيزنطي كان يدرك أطماع وخبث نوايا بعض قادة الحملة الصليبية التي أصبحت مصدر قلق له من أمثال: بوهمند النورمندي الذي عرض على الدوق جودفري حاكم مدينة بولون البلجيكية أن يستوليا على مدينة القسطنطينية في أثناء عبورهم منها إلى بلاد الشام ، إلا أن جودفري رفض هذا العرض ، لأنه لم يأت على حد قوله (إلا لقتال المسلمين) فلم تفلح خطة الأمير النورمندي في الاستحواذ على القسطنطينية^(٣٨) ، وبسبب تدهور العلاقات بين الطرفين وخروجهم عن طاعته عزم الإمبراطور البيزنطي اليكسيوس أن يجعلهم يطيعونه رغماً عنهم عن طريق سلاح الجوع ، ومن أجل ذلك أمر بقطع العلاقة مع الجيوش الصليبية القادمة من أوروبا . وأمر الأهالي بعدم بيع المأكولات لهم ، إلا



أن هذه المقاطعة لم تأت بثمارها ، لأن قادة الجيوش الصليبية قرروا الهجوم على جميع القرى التي تمر بها قواتهم وسلب ما يوجد فيها من طعام (٣٩) .

وهكذا أخذت الجيوش الصليبية تهجم بشراسة على أهل القرى التي تمر بها وتتهب أموالهم وطعامهم حتى اضطر الإمبراطور إلى طلب الصلح مع الصليبيين وتعهد بتقديم المؤنة والمساعدة لهم^(٤٠)، ولم يقف تدهور العلاقات الصليبية البيزنطية عند هذا الحد بل تجاوزته إلى أبعد من ذلك وخاصةً في أثناء الحملة الصليبية الثانية ، فإنها انتهجت منهجاً مغايراً ، فجد أن تحرير مدينة الرها من قبل الجيش الإسلامي ، قد دفع الملوك في كل من ألمانيا وفرنسا إلى أن يقودا الجيوش الصليبية والتوجه بها نحو القسطنطينية ومن ثم التوجه نحو الرها لانتزاعها من أيدي المسلمين . وعند وصول الإمبراطور الألماني كونراد إلى القسطنطينية سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م ومعه ٧٠ ألف مقاتل ، فلما سمع الإمبراطور البيزنطي عمانوئيل كومنين انزعج من هذه الأخبار وشرع في تحصين المدينة خشية أن يستيحيها الألمان ويعيثون فيها الفساد كما فعلوا في أثناء مرورهم في القرى والمدن البيزنطية من قتل وسلب لأهل تلك المدن والقرى حتى أن أهلها كانوا قد اشتكوا للملك عمانوئيل فأجابهم (بأنه ليس بوسعهم أن يحكم هؤلاء الرعايا)^(٤١)، ونتيجة لهذا الأمر اضطر الإمبراطور البيزنطي إلى أن يرسل قوات من الجيش البيزنطي بصحبة الجيش الألماني ، لمنع أي احتكاك أو صدام ولحماية أهل تلك المدن والقرى من الجيش الألماني^(٤٢) . وقد ساءت العلاقات الألمانية البيزنطية مرة أخرى عندما قامت القوات الألمانية بأعمال عنف وسلب ضد المواطنين البيزنطيين . فلم يأخذ الإمبراطور الألماني أي موقف أو إجراء لوقف هذه الاعمال ، وعندما طالبه الملك البيزنطي عمانوئيل بالتدخل للسيطرة على الموقف غضب وهدده بالعودة في العام التالي لمهاجمة القسطنطينية . وتأزم الموقف بين الملكين ، ولم تنفج الأزمة إلا بعد أن تدخلت زوجة الملك البيزنطي مانويل ونجحت في التوفيق بين زوجها وزوج أختها الإمبراطور الألماني كونراد^(٤٣) ، وبعد وصول القوات الفرنسية بقيادة الملك لويس السابع إلى القسطنطينية سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م . أعلن الإمبراطور البيزنطي عمانوئيل استعداداه للسماح للفرنسيين بالعبور من أراضيهم وإمدادهم بالطعام والمؤونة ، بشرط تعهدهم بالولاء والطاعة له من جهة ، وتسليمه ما يستولون عليه من أراض في آسيا من جهة أخرى فبدأت المشكلة والخلاف مرة أخرى ، إذ إن زعماء الحملة الصليبية الثانية كانوا من كبار ملوك أوروبا وليسوا مجرد أمراء محليين كما

كان الحال في الحملة الصليبية الأولى . كما أن الإمبراطور البيزنطي اضطر إلى عقد صلح مع السلطان السلجوقي مسعود بعد قدوم القوات الألمانية إلى بيزنطة^(٤٤) ، ليكون هذا الصلح ورقة ضغط على الصليبيين القادمين من أوروبا ، الذين أوشكوا أن يسلكوا الأراضي البيزنطية في طريقهم إلى بلاد الشام وعندها قرر الإمبراطور الألماني التوجه إلى الشام وطلب من الإمبراطور البيزنطي أن يمهده ببعض المرشدين ليصحبوه في الطريق عبر الأناضول فقدم إليه الإمبراطور البيزنطي المرشدين والأدلاء . وطلب الملك البيزنطي عمانوئيل من الملك الألماني كونراد أن يسلك الطريق الساحلي الذي هو تحت سيطرته لأنه آمن إلا أن الألمان رفضوا وأصر الملك على أن يسلك أقصر الطرق نحو بلاد الشام ، الذي يقع بالقرب من قونية عاصمة السلاجقة^(٤٥) . ولم يعي خطورة اختياره لهذا الطريق الذي كان السبب الرئيس لإخفاق هذه الحملة . ثم توجه حتى وصل إلى مدينته نيقية ، وبعد أربعة أيام هرب الأدلاء البيزنطيون فجراً، وقيل : (إن الإمبراطور البيزنطي آثار الأتراك السلاجقة ضد القوات الألمانية وإنه طلب من المرشدين تضليل الحملة والهروب)^(٤٦) . وتفاجئت القوات الألمانية بكمين محكم من السلاجقة الذين أحاطوا بهم من فوق قمم الجبال وأنهم قد وقعوا في الفخ وأصبحوا فريسة سهلة للجيش السلجوقي ، فقتل تسعة أعشار الجيش الألماني وأصيب الملك الألماني كونراد بجروح ، فاتهم الألمان ملك بيزنطة بالخيانة وأنه كان على اتفاق مع السلاجقة وهو من حرض الأدلاء البيزنطيين على توريط الجيش الألماني ثم هربوا وتركه فريسة سهلة للجيش السلجوقي ، وأنه لم يزود الألمان بالمونة والتجهيزات الكافية ، وكذلك أمر التجار البيزنطيين الذين يتعاملون مع الألمان بخلط الدقيق بالجبر وغش البضائع التي تباع للألمان ، حتى نفذت المونة من الجيش الألماني فأكلوا كل شيء حتى الدواب وغيرها من شدة الجوع فأصبحوا ، فريسة سهلة للجيش السلجوقي فضلاً عن الجوع ، فتدهورت العلاقات وساءت أكثر بين الألمان والملك البيزنطي الذي عدوه السبب الرئيس في إخفاق الحملة الألمانية ومقتل معظم الجيش الألماني^(٤٧) .

أما العلاقة بين الفرنسيين والبيزنطيين فهي أيضاً لم تكن علاقة مثالية ، فنجد أن الخلافات والانشقاقات وعدم الثقة المتبادلة بين الطرفين طغت على هذه العلاقة رغبة كل طرف بالسيطرة والاستحواذ على حساب الطرف الآخر والمحاولة في إيقاع الطرف الآخر في المصائد والفخاخ . وانتزاع منه ما يمكن انتزاعه ، فبدأ أثر ذلك واضحاً منذ وصول الحملة

الصليبية الثانية عام ١١٤٧/٥٤٢م إذ حاول الإمبراطور البيزنطي التخلص من الملك الفرنسي لويس السابع عندما حلت الكارثة بالجيش الألماني على يد السلاجقة ، فأمر الإمبراطور البيزنطي ببث شائعات (أن الصليبيين الألمان حققوا نصراً كبيراً على السلاجقة في اسيا الصغرى وأنهم قتلوا ما يقارب من أربعة عشر ألفاً من السلاجقة دون خسارة من جانبهم)^(٤٨). وكان القصد من إثارة هذه الإشاعة دفع الفرنسيين إلى طريق الهلاك حتى أخذوا ونادوا بالعبور إلى آسيا الصغرى لعلهم يفوزون بجانب من هذا النصر والحصول على الغنائم ، وطالبوا الملك لويس السابع بالحقاق بجيش الملك الألماني كونراد وقد أذعن الملك لويس لهذا الرأي وانتظر بالعاصمة البيزنطية لبعض الوقت للراحة وتنظيم قواته^(٤٩) . وقد أيد الكثير من المؤرخين والباحثين أن الإمبراطور البيزنطي هو مصدر هذه الإشاعة ، لرغبته الشديدة في التخلص من القوات الفرنسية بأسرع وقت^(٥٠) . خشية أن يتحالف الملك الفرنسي لويس السابع مع اعداء الإمبراطور البيزنطي النورمانيين وملكهم روجر ، إذ كان الإمبراطور البيزنطي كثير الريبة من نوايا الملك الفرنسي لويس السابع الذي سبق له الاتصال والتعاون مع الملك روجر ودخل في مفاوضات معه ، ومن بعدها بدأت اعمال السطو والسلب وقطع الطرق من لدن الجيش الفرنسي على المواطنين البيزنطيين وممتلكاتهم ، حتى هرب الكثير من الشعب البيزنطي طلباً للنجاة ، مما أغضب الإمبراطور عمانوئيل غضباً شديداً ، وساءت العلاقات بسببه بين الطرفين وأمر الإمبراطور عمانوئيل بغلق الاسواق التي تمد الفرنسيين بالموءن ، ورد الفرنسيين على هذا الإجراء بنهب الأسواق والمناطق التي يمرون بها او القرية منهم ، ولتجنب عملية التصعيد بين الطرفين عقدت مفاوضات بينهم للخروج من هذه الأزمة^(٥١) . فنتج عنها إعادة فتح الأسواق المغلقة وتقديم يمين الولاء والطاعة للإمبراطور البيزنطي^(٥٢) ، وفي هذه الأثناء وصلت الحملة الفرنسية بقيادة لويس السابع لتفاجئ بالهزيمة الساحقة التي حلت بالألمان وإمبراطورهم كونراد ولم يشأ لويس السابع أن يعرض نفسه وجنوده لنفس المصير الذي تعرض له الملك كونراد فاختر الطريق الساحلي للبحر المتوسط طريقاً آمناً له ولجيشه بعيداً عن القوات السلجوقية ، وانضم إليه الملك الألماني كونراد الذي كان موقفه حرجاً وضعيفاً بعد أن فقد معظم جيشه وتسببت هزيمته امام السلاجقة في تلطخ سمعته وكرامته ، فترك القوات الفرنسية وانسحب نحو القسطنطينية^(٥٣) ، وواصلت القوات الفرنسية تقدمها نحو بلاد الشام^(٥٤) .

ومن خلال إخفاق الحملة الصليبية الثانية نجد أنها أدت الى نتائج خطيرة على مستوى العلاقات السياسية بين الإمبراطورية البيزنطية والدول الأوروبية الصليبية . إذ تحولت المعاهدات التحالفات القديمة ضد المسلمين إلى تحالفات جديدة ضد بعضهم بعضاً ، فقد عقد الملك الألماني كونراد حلفاً جديداً مع الإمبراطور البيزنطي عمانوئيل ضد ملك صقلية روجر سنة ١١٤٩/٥٤٤م في حين عقد ملك صقلية روجر الثاني حلفاً مع لويس السابع ملك فرنسا ضد الإمبراطور البيزنطي وأمر أسطوله البحري أن يهاجم السفن الصليبية التي ساندت الحملة الصليبية الثانية وساعدت القوات الفرنسية القادمة من أوروبا ^(٥٥) . واستمرت حركة المناوشات بينهم إذا اعترضت مجموعة من السفن البيزنطية سفينتين تابعتين لأسطول روجر ملك صقلية ، وكان على متن أحدهما الملك الفرنسي لويس السابع ، ولم يتمكن الخلاص من مطاردة الإسطول البيزنطي إلا بعد أن رفع العلم الفرنسي على متن السفينة ، في حين استولت القوات البيزنطية على السفينة الثانية ^(٥٦) . وكان تحمل أتباع أموال وأمتعة الملك لويس السابع وعدوها غنائم حرب. وعلى إثر هذه الحادثة اتفق روجر والملك لويس على توجيه حملة صليبية جديدة يكون هدفها الرئيسي الانتقام من بيزنطة وملكها ^(٥٧) . وأخذوا يعملون على تهيأت الظروف والأمر اللازمة لهذا الاتفاق ، عن طريق شن الحملات الدعائية الواسعة ضد الدولة البيزنطية وملكها ، بسبب خيانتة للصليبيين الأوربيين وعدم نصرته لهم ومحاولته الإيقاع بهم على الدوام . من أجل إعداد حملة صليبية جديدة تكون وجهتها القسطنطينية للانتقام من البيزنطيين ، إلا أن البابا لم يوافق على هذا الاتفاق ورفض هذا الاتفاق رفضاً قاطعاً . وأخبر به الملك لويس السابع فأخفقت الاتفاقية ومنع البابا إرسال تلك الحملة ^(٥٨) . وتميز العداء بين البيزنطيين والنورمان بالاستمرارية على مدى العصر وأخذ يتصاعد يوماً بعد آخر وازداد هذا الصراع وبلغ ذروته عندما تمكن النورمان من الاستيلاء على عاصمة اقليم مقدونية مدينة سالونيك ، التي تعد من أهم المدن التابعة لبيزنطة ولها مكانة كبيرة عند إمبراطورها ؛ لهذا أرسل الإمبراطور إسحاق إنجلوس (ت ٦٠٠هـ / ١٢٠٤م) جيشاً كبيراً ، واستطاع إنزال هزيمة ساحقة بالقوات النورمندية سنة ١١٨٥/٥٨١م وتمكن الجيش البيزنطي استرجاعه جميع الأراضي التي احتلتها القوات النورمندية ، وأصبحت حرباً مفتوحة ومعلنة بين الطرفين ^(٥٩) ، واستمر هذا العداء بين الطرفين وظل النورمان يحاولون تدمير الإمبراطورية البيزنطية ، وحين انتقل العرش النورمندي إلى الإمبراطور الألماني هنري

السادس عن طريق زوجته الأميرة النورمندية وريثة العرش ، فورث هو أيضاً كراهية البيزنطيين ، فضلاً عدا الألمان القديم للبيزنطيين . وكان هنري يطمع في التربع على العرش البيزنطي ، فأعد حملة كبيرة لمهاجمة القسطنطينية لولا وفاته المفاجئة التي أوقفت تنفيذ هذه الحملة ^(٦٠) . وقد حاول فيليب السوابي (ت٦٠٤هـ / ١٢٠٨م) الذي تربع على العرش الألماني بعد وفاة أخيه الملك هنري السادس سنة ٥٩٣هـ / ١١٩٧م ، أن يستولي على العرش البيزنطي . ولكن بطريقة أخرى تختلف عن الحملات العسكرية أي عن طريق الزواج من إحدى بنات الأسرة البيزنطية الحاكمة أو ما يعرف بـ (المعاهدة السياسية) وعن هذه الطريقة يؤول عرش بيزنطة الى الالمان في يوم ما ^(٦١) .

الصراعات البيزنطية الداخلية ودورها في تدمير القسطنطينية:

أدت الصراعات والنزاعات الداخلية من اجل تولى العرش البيزنطي الدور الأكبر في سقوط القسطنطينية وتدميرها على يد الصليبيين القادمين من أوروبا ، وذلك عندما وصلت أخبار استيلاء النورمان على سالونيك وأصبحت قواتهم على مقربة من العاصمة البيزنطية ، فسخطت الأهالي وثاروا على الإمبراطور البيزنطي أندرو نيكوس (ت٥٨١هـ / ١١٨٥م) . وكان من تزعم هذه الثورة رجل يدعى إسحاق إنجلوس المعروف بـ (إسحاق الثاني) الذي استولى على العرش البيزنطي في أثناء غياب الملك عن العاصمة ، وحين عاد الملك اندرو نيكوس إلى العاصمة دفعه إسحاق الثاني إلى الجماهير فمزقته إرباً سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م ^(٦٢) . وفي سنة ٥٩٢هـ / ١١٩٥م ، خلع الكسيوس إنجلوس (ت٦٠٧هـ / ١٢١١م) شقيقه الإمبراطور إسحاق وسمل عينيه وادعاه السجن مع ابنه الصغير الذي لقب فيما بعد بالكسيوس الرابع (ت٦٠٠هـ / ١٢٠٤م)، واعتلى العرش مكانه ^(٦٣) . ولم يلبث أن فر الابن الكسيوس الرابع على متن سفينة سنة ٥٩٨هـ / ١٢٠١م ، ولجأ إلى طلب النصرة من الغرب الأوربي ضد عمه الذي اغتصب العرش من والده الإمبراطور إسحاق إنجلوس ^(٦٤) . وهكذا تطور الصراع الداخلي على العرش بشكل كبير وأدى إلى استعانة البيزنطيين بالغرب الأوربي ، وبذلك مهدوا الطريق لإسقاط عاصمتهم بشكل غير مباشر ، فذهب الكسيوس الرابع إلى صقلية وبعدها إلى روما ، إذ التمس مقابلة البابا اينوسنت الثالث (ت٦١٣هـ / ١٢١٦م) وطلب تأييد البابا ومساعدته من أجل استعادة عرش أبيه المغتصب ، إلا أن هذه المقابلة لم تحقق للأمر ما كان يرمي إليه من مساعدة ، وما إن خرج من عند البابا حتى توجه إلى زوج شقيقته فيليب

السوابي ملك المانيا ، لطلب نصرته وإعادة عرش أبيه اليه^(٦٥) ، وعندما وصل هذا الأمير قوبل بالترحيب من قبل شقيقته وزوجها الملك فيليب وطلب من الملك فيليب مساعدته في إعادته إلى العرش . فأخبره الملك فيليب أن هناك إعداداً لحملة صليبية جديدة يعد لها في إيطاليا وإن قائدها ابن اخت الملك فيليب وهو الماركيز بونيفيس أوف مونتفترات وطلب الأمير الكسيوس من الملك فيليب أن يساعده في التأثير المباشر على ابن اخته من أجل تغيير وجهة هذه الحملة صوب القسطنطينية بدلاً من بلاد الشام ، مقابل مساعدتهم في الحملات الصليبية اللاحقة فضلاً عن الأموال والهيايا الكبيرة التي سوف تدفع لهم بعد إعادته إلى العرش البيزنطي^(٦٦) . ويكون الملك فيليب السوابي هو الوسيط والضامن بين الطرفين ، فحصلت مراسلات عدة واتفق على هذا الاقتراح ، وتم تغير وجهة هذه الحملة صوب القسطنطينية^(٦٧) القسطنطينية^(٦٧) ، في سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م بدأ الهجوم الصليبي الأوربي على القسطنطينية ، وبعد المقاومة اليائسة تأكد للملك البيزنطي عدم قدرته على صد ومواجهة هذه القوات الغازية فجمع أمواله ومجوهراته وكل ما يستطيع حمله وهرب ليلاً مع عدد من أتباعه المخلصين^(٦٨) . وأخرج الإمبراطور السابق إسحاق إنجلوس من سجنه ، وعندما عجز الإمبراطور إسحاق وابنه الأمير الكسيوس عن الوفاء بما اتفقوا عليه سابقاً طلب منهم الأمير الكسيوس الرابع الذي أصبح ملكاً مكان أبيه ، أن يمهله الوقت الكافي لجمع الأموال ، وفي أثناء ذلك اندلع الصراع بين الطرفين المقيمين في القسطنطينية الذين أغضبهم تدخل الأوربيين الغريباء في بلادهم ، وجرت عدة مناوشات واشتباكات داخل القسطنطينية وأحرق عدد كبير من المنازل والأسواق وقتل عدد كبير من الرجال والنساء والأطفال ، فأحس الإمبراطور الكسيوس الرابع بكره ونقمة شعبه من الصليبيين ، فأخذت معاملته تتغير اتجاه الصليبيين ومن جاء معهم من اللاتينيين ، حتى إنه لم يعد يدفع اليهم شيئاً من الأموال والأرزاق التي اتفق عليها سابقاً^(٦٩) . فأخذ الصراع يشتد بين الصليبيين والإمبراطور البيزنطي أكثر فأكثر إلى درجة القطيعة في العلاقات لدرجة أنهم هددوا الملك البيزنطي داخل بلاطه^(٧٠) ، فتذمر الشعب البيزنطي من هذه الإهانة وثار على ملكهم الكسيوس الرابع ، وقبضوا عليه وأودعوه في السجن ونصبوا مورز افولوس (الكسيوس الخامس) إمبراطوراً بدلاً عنه في كنيسة آيا صوفيا وباعتلاء الكسيوس الخامس للعرش البيزنطي سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٤م ، لم يعد هناك أمل للصليبيين في الحصول على ما اتفق عليه مع الإمبراطور السابق (الكسيوس الرابع) . فقرروا الهجوم على

القسطنطينية سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م ، ونهب كل أملاكها وثرواتها وكل ما يقع بين أيديهم ونظر أعينهم^(٧١). فهاجموا المدينة وأخذوا يقتلون بلا رحمة الرجال والنساء والأطفال ويحرقون وينهبون كل شيء حتى الكنائس التي هي دور للعبادة لم تسلم من أيديهم فعاثوا الفساد الدمار الخراب في المدينة فضلاً عن السلب والنهب والحرق . حتى تمنى البيزنطيون (أن لو كانت العاصمة البيزنطية سقطت بأيدي المسلمين بدلاً من سقوطها في أيدي الصليبيين)^(٧٢)، وتذكروا أن المسلمين عندما حرروا بيت المقدس لم يفعلوا بالنصارى وبيوتهم مثلما فعله الصليبيون الاوربيون بأهل القسطنطينية وكنائسها^(٧٣).

وقد كان أبرز ما نتج من هذه الحملة (الصليبية الرابعة) تعزيز الصراع والانشقاق بين مسيحي الشرق والغرب الأوربي ، وحدثت شرخاً وصدعاً لا يلم ولا يجبر بينهما، وأسهمت أيضاً في بداية اضمحلال وإنهيار الإمبراطورية البيزنطية ، ثم ادت فيما بعد الى سقوطها على يد العثمانيين المسلمين سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م .

٢- البعد الديني

أخذ البعد الديني في العلاقات البيزنطية الصليبية حيزاً كبيراً حتى توسع وأصبح أكبر من المتوقع، إذ اتخذ الطابع الديني نريعة لتحقيق أطماع شخصية تخفي تحت طياته أجندة وأهداف مختلفة ، فلبست رداء الدين والعقيدة لهذا الهدف المزعوم وكان حاضراً قبل دعوة البابا اوريان الثاني سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م التي دعا فيها الى الحملة الصليبية الأولى بأكثر من عقدين من الزمن ، وقد نما وكبر هذا الدافع في الكثير من الأحيان في أثناء الغزو وامتزج مع تيارات سياسية واقتصادية واجتماعية مختلفة^(٧٤).

وترجع فكرة الاستحواذ على الكنيسة الشرقية إلى البابا جريجوري السابع، عن طريق دمج وصهر الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية مع الكنيسة الكاثوليكية في روما وجعلها تابعة لها ، إذا أرسل البابا جريجوري السابع سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م إلى إمبراطور بيزنطة ميخائيل السابع(ت ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م) جاء فيها : (ينبغي تجديد الوفاق القديم بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية)^(٧٥)، لكن دعوة البابا هذه قوبلت بمعارضه قوية في القسطنطينية فأخذ البابا بفكرة مهاجمة القسطنطينية وإخضاعها بقوة السلاح لسلطته بحجة حماية الدين النصراني وتقديم يد العون للأرثوذكس ضد المسلمين ، ثم تحالف مع ملك ألمانيا هنري الرابع سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م ، تحت زعم حماية الكنيسة الشرقية في القسطنطينية ، ودعا أنصار الكاثوليك



قائلاً: (قاتلوا بجرأة ، لكي تنالوا في السماء مجداً يتجاوز جميع توقعاتنا)^(٧٦). ومع هذا فإن البابا جريجوري السابع لم يكن صادقاً ومخلصاً في قوله وعمله بل كان يعمل على المخادعة والتضليل لتحقيق أطماعه وأهدافه التوسعية الخبيثة فنجده يدعو إلى مقاتلة السلاجقة المسلمين ويطلق عليهم تسمية الوثنيين^(٧٧) . ثم يرسل رسالة أخرى إلى الناصر أمير مدينة بجاية في الجزائر ، كانت خلاصتها ، أن المسلمين والنصارى في العالم أمة واحدة ما داموا يعبدون الهاً واحداً وإن كان بأساليب مختلفة^(٧٨)، فبدا واضحاً أن الجوهر الحقيقي والرئيسي لمشروع حرب البابا جريجوري السابع ضد السلاجقة ، هو صهر ودمج الكنيسة الأرثوذكسية في بيزنطة وإعادتها إلى حضن الكنيسة الكاثوليكية في روما وتوسيع نفوذ واتباع الكاثوليكية والسيطرة على ثروات وأملاك الكنيسة الأرثوذكسية وإن تظاهر بغير ذلك . ولكن مشروع جريجوري هذا لم يكتب له النجاح بسبب اشتغال البابا بالصراع مع الإمبراطور الألماني هنري الرابع الذي كان حليفه ومناصره في وقت سابق^(٧٩) . فأجل هذا الأمر حتى سنة ١٠٩٥/هـ٤٨٨م عندما دعا البابا أوربان الثاني اتباعه في أوروبا إلى الحملة الصليبية الأولى في مجمع كليرمونت بفرنسا ، عندما استتجد الملك البيزنطي بالغرب النصراني ضد السلاجقة المسلمين ، فاغتم البابا والكنيسة الغربية هذه الفرصة لتحقيق أطماعهم الخبيثة لإخضاع الكنيسة الشرقية في البيزنطية تحت شعار محاربة المسلمين . أما عامة الناس الذين لبوا نداء البابا وخرجوا معهم الى بلاد الشام فليس بسبب الدافع الديني فحسب إنما بدافع الأطماع الشخصية إلى جانب الخلاص حالة الفقر التي كانوا يعيشونها في أوروبا والهروب من ظلم حكامهم وأسيادهم ، فضلاً عن المجرمين الذين انضموا إلى هذه الحملة للخلاص من العقوبات المفروضة عليهم ، فلم تكن حملة دينية نزيهة بل كانت حملة توسعية اقتصادية اجتماعية ألبيت لباس الدين للهروب من الواقع المزرى الذي كانوا يعيشونه في أوروبا^(٨٠) ، لهذا نجد أن العلاقات البيزنطية الصليبية لم تكن علاقات قائمة أو مبنية على رابط الدين والعقيدة بل كانت تختلف عن ذلك بكثير فهي قائمة على مبدأ الاستحواذ والسيطرة والمصالح والتوسع . حتى لو كان ذلك على حساب الدين والعقيدة التي يدعون إليها وخير مثال على ذلك ما فعلوه من سلب وقتل وحرق وتخريب وتدمير ضد إخوانهم في الدين من البيزنطيين عند كل حملة صليبية عند مرورهم بالأراضي البيزنطية ، وكان أعظم جرائمهم ما ارتكبه من مجازر وحشية ضد إخوانهم في النصارى في بيزنطة . عندما استباحوا القسطنطينية في الحملة الصليبية الرابعة اذ قتلوا

وأحرقوا أهلها فضلاً عن النهب والسلب حتى تمنى النصارى في القسطنطينية وغيرها ، لو أن مدينتهم كانت قد وقعت في أيدي المسلمين لما راو من حسن المعاملة على يد المسلمين في السابق^(٨١) .

٣- البعد الاقتصادي :

يعد العامل الاقتصادي واحداً من أهم العوامل التي شجعت الصليبيين في أوروبا على القيام بالحملة الصليبية المتكررة على بلاد المشرق الإسلامي ، وأسهمت في تقوية العلاقات بين البيزنطيين والصليبيين القادمين من أوروبا تارة وكذلك في توتيرها تارة أخرى إلى حد الصراع المسلح . إذ كان العامل الاقتصادي من أهم العوامل التي أسهمت في رسم مساره وخط العلاقة بين البيزنطيين والغرب الأوربي في العالم النصارى ، فكان أثره ونتائجه أقوى وأهم من العامل الديني الذي اتخذت جميع الحملات الصليبية شعاراً لاسمه ، فنجد أغلب هذه العلاقات قائمة على مبدأ الاستحواذ والسيطرة والتسلط والرغبة الجامحة على انتزاع ونهب ما في أيدي الآخرين حتى لو كان على حساب الدين والقيم والأخلاق ، فلم تحكم أو توجه هذه العلاقات أي قيم أخلاقية أو دينية أو حالات إنسانية بل تجردت من هذه الأمور ، وسط عالم الشهوات والجشع وحب المال والتملك ولم تقتصر هذه الصفة على المشتركين في هذه الحملات من ملوك ورجال مقاتلين أو أمراء بل تعداهم إلى رجال الدين والكنيسة أيضاً ، فنجد أن فكرة الاستيلاء على القسطنطينية كانت موجودة عند بعض قادة الحملات الصليبية منذ الحملة الصليبية الأولى ، فكان الأمراء من قادة الحملات الصليبية ينظرون بعين الحسد والدهشة إلى الكنوز الموجودة في كنائس العاصمة البيزنطية وقصورها وأسواقها ، ويرى أن هذا الثراء العظيم يجب أن يكون من نصيبهم لدرجة أن الإمبراطور البيزنطي الكسيوس . قد أحس وعلم بهذه الأفكار الخبيثة التي كانت تملأ صدور الصليبيين فنزعج منها كثيراً^(٨٢) .

أما فكرة الغدر وعدم الثقة فكانت حاضرة عند البيزنطيين فلم يكونوا يتقون بالصليبيين القادمين من أوروبا ، إذ كانوا على الدوام يخشون من غدرهم ويتحطون منهم ، ففي الحملة الصليبية الثانية ١١٤٧/٥٤٢م . نجد الإمبراطور البيزنطي كان شديد الانزعاج عندما سمع بقدوم القوات الألمانية وشرع بتحسين جميع ثغور المدينة خشية ، اعتداء الألمان عليها ، ثم

أرسل سفارة الى الملك الألماني كوند ، وطلب منه أن يقسم على عدم المساس بالممتلكات والمصالح البيزنطية ، فستجاب لذلك ^(٨٣) . ولم يلتزم الملك الألماني وجيشه بهذا الاتفاق وبدأت المشاكل من جديد عندما قامت القوات الألمانية بنهب القرى البيزنطية بعدما اجتازوا مدينة صوفيا ، إلى درجة ان الإمبراطور البيزنطي نفسه أرسل قوة عسكرية بيزنطية ترافق الجيش الألماني حتى يخرج الألمان إلى خارج حدود الدولة البيزنطية ، للحفاظ على ممتلكات دولته ورعاياه ولمنع الجيش الالمانى من أي اعتداء جديد على الأراضي البيزنطية^(٨٤).

وهناك من المؤرخين من يرى أن الامبراطور البيزنطي عمانوئيل استعمل العامل الاقتصادي كوسيلة ضغط فضلاً عن الحيلة والمكر للضغط على الجيش الألماني في الحملة الصليبية الثانية .

فقبل ان : (الإمبراطور أمر بخلط ما يباع من الدقيق بالجير وأن المواطنين البيزنطيين تعاملوا مع الألمان بعمله أقل وزناً من الوزن المعتاد)^(٨٥)، وكذلك الحال نفسه كان مع القوات الفرنسية المشاركة في الحملة الثانية فنجد أن اعتداءاتهم المتكررة على المزارع والمواطنين وممتلكاتهم وأسواقهم . دفعت الإمبراطور البيزنطي عمانوئيل إلى اصدار أمر بغلق الأسواق التي تمد الفرنسيين بالمؤن . مما دفع الملك الفرنسي الى اصدار أمر بنهب المنطقة التي تمر بها القوات الفرنسي والتي ترفض التعامل معهم ، ولم تنته هذه المشكلة بين البيزنطيين والفرنسيين إلا بعد أن حضر الملك الفرنسي أمام الإمبراطور البيزنطي عمانوئيل وأجبر على تقديم يمين والولاء والطاعة للإمبراطور مقابل أن يتعهد الإمبراطور البيزنطي بإعادة فتح الأسواق^(٨٦) . لهذا فإن الضغط الاقتصادي والتنافس التجاري ولّد مشاكل وأحقاداً كبيرة بين صليبي أوروبا و البيزنطيين أعمق وأكثر كثيراً من شعورهم بالولاء للكنيسة والدين^(٨٧)، فنجد البنادقة الذين كانوا أول المساهمين بالحملات الصليبية قد عقدوا معاهدات تجارية مختلفة تطور فيما بعد إلى تحالف مع الملك العادل سنة ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م ضد الإمبراطور البيزنطي بدافع الانتقام ورد الاعتبار من الإمبراطور البيزنطي الذي حرم البنادقة من الامتيازات التجارية التي حصلوا عليها سابقاً ومنحها لمنافسيهم من جنوه والبيارنه^(٨٨) ، لهذا فإن العامل الاقتصادي كان المحرك الأول على ما يبدو في هذه العلاقات إذ نجد ذلك واضحاً وجلياً من خلال تغير وجهة الحملة الصليبية الرابعة التي كانت قد أعدت سلفاً ضد البلاد الإسلامية وتوجيهها نحو القسطنطينية بدلاً من ديار الإسلام ، وما فعل هؤلاء

الصليبيون من نهب وسلب وقتل ضد إخوانهم في الدين داخل القسطنطينية وما حولها ، على الرغم من المعارضة الشديدة من البابا على هذا التصرف المرفوض من قبله ، إلا أن قادة الحملة الرابعة من الامراء والنبلاء لم يصغوا إلى رجال الدين والكنيسة ، بل انصتوا إلى صوت جشعهم وأطماعهم ومصالحهم الشخصية ومنافعهم الاقتصادية والمادية حتى لو كان ذلك على حساب دينهم ومعتقدهم^(٨٩) ، اذ كان القادة من الملوك والأمراء الصليبيين ينتظرون الفرصة الملائمة لكي ينقضوا على ثروات الإمبراطورية البيزنطية فيرون أن الشرق وما فيه من ثروات كله تابع للإمبراطورية البيزنطية على حسب وجهة نظرهم المحدودة والقاصرة^(٩٠)

٤- البعد الاجتماعي

إن الاختلاف الشاسع والكبير بين المجتمع البيزنطي في الشرق والمجتمع الغربي في أوروبا ولديهم الكثير من الاحتقان والمشاكل التي لا يستطيع أي طرف تجاهلها أو إخفائها مهما كانت الظروف والأحداث ، وإن تظاهر كل طرف بغير ذلك ، فإن هذا الخلاف الثقافي والاجتماعي يطفوا على السطح ويظهر جلياً عند أول حدث يسير بينهم . والأمثلة كثيرة على ذلك لا يمكن حصرها جميعاً في هذا البحث المتواضع .

فمن وجهة النظر البيزنطية يرى أهل بيزنطة أن صليبيي أوروبا أقل منهم تحضراً وثقافةً ولا يمكن أن يباروهم أو يصلوا إلى ما وصلوا إليه مهما امتد الزمن ، لدرجة أن الشعب البيزنطي ثار على ملكتهم (إيرين) بقيادة نفقور عندما قبلت بالزواج من شارلمان ملك الفرنجة ، لأنهم يرون أنه ليس أهلاً للزواج من ملكتهم ، وخشوا أن يؤول حكم بيزنطة إلى هؤلاء الفرنجة غير المتحضرين . وخير دليل على ذلك وصف البيزنطي عمانوئيل كومنين الصليبيين الألمان ب(الرعاع) عندما دخلوا أرض بلاده^(٩١) ، فهم رجال قتال أشداء ليس لهم في الحضارة والثقافة والإنسانية شيء^(٩٢) .

أما من وجهة نظر صليبيي أوروبا فإن نظرتهم تختلف ، إذ يرون أن البيزنطيين متفقون ومارقون عن الدين، وأنهم مترفون مخادعون ومخنثون، ويرون أن هذه الأموال في بيزنطة وكنائسها يجب أن تكون من نصيب الصليبيين القادمين من أوروبا^(٩٣). وهذا الاختلاف الكبير بين الطرفين لا يمكن أن يتحدوا تحت ظله أبداً^(٩٤) .

النتائج

بعد أن انهينا من كتابة بحثنا هذا الموسم (العلاقات البيزنطية الصليبية منذ نشأة الإمبراطورية البيزنطية الى نهاية الحملة الصليبية الرابعة) والذي نرجو من الله تعالى أن نكون قد أحطنا بالكثير من المعلومات التاريخية المهمة التي تفيد القارئ والباحث في دراسة التاريخ ، من خلال بيان العلاقة بين (البيزنطيين والصليبيين الأوربيين) وما تم عرضه من أحداث تاريخية على مر العصور المختلفة ، إذ تبين من خلال هذه الدراسة أن العلاقات التي تربطهم في مختلف الجوانب والصعد ، سواء أكانت سياسية أم دينية أم اقتصادية أم اجتماعية وأثرها في تغيير مجرى التاريخ على مر العصور ، فتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج التي كان من أهمها.

١- أن الإمبراطورية البيزنطية هي في الأصل وليدة من رحم الإمبراطورية الرومانية التي كانت في روما ، ثم انشطرت عنها إلى شطرين كان أحد هذين الشطرين هو الإمبراطورية البيزنطية ، التي كانت أعظم من الإمبراطورية الأم (الإمبراطورية الرومانية الغربية) وأكثر تأثيراً في مجرى التاريخ حتى إن قسماً كبيراً من الأراضي الإيطالية كانت تابعة لهذه الإمبراطورية ، بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية على يد الأقوام البربرية .

٢- أثبتت الدراسة أن العلاقات التي كانت تحكم العالم النصراني (الشرقي والغربي) قبل الحروب الصليبية بعقود ، كانت قائمة على مبدأ السيطرة والاستحواذ ، ولم تكن قائمة على أساس الدين والعقيدة أو نصره الدين .

٣- أوضحت الدراسة أن الغرب الصليبي كان على الدوام طامعاً في السيطرة على الإمبراطورية البيزنطية ونهب كنوزها ، ويبدو هذا واضحاً من خلال محاولة شارلمان الزواج من الملكة البيزنطية إيرين لغرض توحيد وضم هذه الإمبراطورية تحت حكم شارلمان عن طريق الزواج والمصاهرة .

٤- أظهرت الدراسة أن العلاقات التي كانت بين البيزنطيين والصليبيين قائمة على الشك والحذر وعدم الثقة والمصادقية بالطرف الآخر، منذ استنجد الإمبراطور البيزنطي بالبابا أوربان الثاني ، إذ نجد أن الإمبراطور البيزنطي كان قد ندم على مناشدته للبابا في طلب النصر ، عندما وصلت جحافل الجيوش الصليبية إلى مشارف العاصمة البيزنطية ، إذ نجد أن هذا الإمبراطور لم يسمح لتلك القوات بالدخول إلى القسطنطينية بدافع الحذر والخوف والخشية من هذه القوات على العاصمة البيزنطية .

٥- توصلت الدراسة أن البعد الديني في العلاقات البيزنطية الصليبية ما هو إلا شعار مرفوع وغطاءً تتستر وراءه أطماع ونوايا خبيثة لكلا الطرفين يستخدمه على حسب حاجته ومصالحته الشخصية ويتخلى عنه متى ما انتهت الحاجه إليه ، إذ نجد معظم الحملات الصليبية كانت قد رفعت الشعار الديني ، من أجل نصرت إخوانهم النصارى في الشرق ضد المسلمين السلاجقة ، في حين نرى أن هؤلاء الصليبيين أول ما بدأوا به القتل بإخوانهم النصارى من سكان الدولة البيزنطية عند مرورهم بها ، فضلاً عن قيامهم بالقتل والسلب والنهب وإحراق العاصمة البيزنطية في أثناء اقتحام القسطنطينية في الحملة الصليبية الرابعة ، عندما غيروا طريق هذه الحملة من التوجه لقتال المسلمين إلى القسطنطينية لقتال أهل ملتهم .

٦- غلب البعد السياسي على الأبعاد الأخرى في العلاقة التي تربط البيزنطيين بالصليبيين إذ نجد الصراعات القائمة بين البيزنطيين والأمراء والملوك الصليبيين كانت على أشدها ، فيشتد الصراع بين البيزنطيين والنورمان تارة ، ثم بعدها مع الألمان وملكهم تارة أخرى ثم مع الفرنسيين وغيرهم من الصليبيين إلى ما لانهاية له من التوتر في العلاقات السياسية ، حتى إن الإمبراطور البيزنطي كان على الدوام يعمل على إجبار الأمراء والملوك والقادة الصليبيين على تقديم يمين الطاعة والولاء له على الرغم من معارضة بعضهم على هذا الإجراء المذل .

٧- أثبتت الدراسة أن البعد الاقتصادي كان قد أخذ منحى أبعد في العلاقات التي تربط الطرفين عن طريق العامل الاقتصادي والتجاري، حتى لو كان على حساب اخوانهم في الدين والعقيدة فنرى بعض الأمراء الصليبيين حاولوا منذ أول حملته احتلال الإمبراطورية البيزنطية ، وذلك بدافع الحسد لهذه الإمبراطورية والرغبة في السيطرة على ممتلكاتها وثرواتها على الدوام كذلك نجد أن الإمبراطور البيزنطي قد عمل في احيان كثيرة على إخضاع الملوك والأمراء والقادة الصليبيين ، عن طريق استعمال العامل الاقتصادي كعامل ضغط عليهم فضلاً عن كونه الأصل في التعامل بين هؤلاء ، حتى كان سبباً في سقوط القسطنطينية في الحملة الصليبية الرابعة ، من أجل السيطرة على ثرواتها وممتلكاتها .

٨- أما محاولة الكنيسة الغربية في روما ضم واحتواء الكنيسة الشرقية في القسطنطينية ، فهو من أهم ما امتازت به تلك العلاقات على مر العصور ، إذ كان هدف الصليبيين وخاصةً البابا في روما السيطرة على الكنيسة الأرثوذكسية في بيزنطة .

٩- نجد أن البعد الاجتماعي والاختلاف الفكري والثقافي والاختلاف الطبقي كان حاضراً على مر العصور في هذه العلاقات ، فنرى فرقاً شاسعاً في نظرة كل طرف إلى الطرف الآخر ، وكل طرف يصغر ويعمل على التقليل من شأن الطرف الآخر .

١٠ - اثبتت الدراسة ان الحملات الصليبية القادمة من اوربا ، كان هدفها الاساس هو تخليص اوربا من اعمل السلب والنهب والقتل التي كانت منتشرة في معظم ارجاء اوربا ، وتصدير المجرمين وقطاع الطرق الى بلاد المشرق للتخلص منهم ، فضلاً عن الهروب من سوء الاوضاع الاقتصادية من فقر وجوع وحرمان فضلاً عن المشاكل الاخرى التي كانت سائدة في اوربا .

الاحالات

- (١) رينشارد ا. ساليقان، ورثة الإمبراطورية الرومانية ، ترجمة وتقديم: جوزيف نسيم يوسف، (مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، مصر: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م) ، ص٤٩؛ محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، (دار المعرفة الجامعة ، الإسكندرية ، مصر: بلات) ، ص١٣ .
- (٢) رأفت عبد الحميد ، بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة ، ط١ ، (مؤسسة عين للدراسات والبحوث الاجتماعية ، القاهرة ، مصر: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ، ص٢٨ .
- (٣) سهيل زكار، موسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ، (دمشق ، سوريا : ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) ، ج٣ ، ص٥٣ .
- (٤) محمود سعيد ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص١٥ .
- (٥) سهيل زكار، موسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص٥٤ .
- (٦) محمود سعيد ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص١٣ .
- (٧) سهيل زكار، موسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص٥٣ .
- (٨) إحسان عباس، (ت١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م) ، العرب في صقلية ، ط١ ، (دار الثقافة ، بيروت ، لبنان : ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م) ، ص٣٠-٣١ .
- (٩) عفاف سيد صبرة ، الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان ، (دار النهضة العربية ، القاهرة ، مصر : ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ، ص١١٧ .
- (١٠) محمود سعيد ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص١٣٠٢ .
- (١١) عفاف سيد صبرة ، الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية ، ص١١٧
- (١٢) عفاف سيد صبرة ، الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية ، ص١١٧

- (١٣) الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد ، (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) ، تاريخ الرسل والملوك ، ط ١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م) ، ج ٤ ، ص ٦٦٩ .
- (١٤) ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا ، ط ١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان : ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) ، ج ٩ ، ص ١٣٨ .
- (١٥) ميخائيل زوريوف ، الصليبيون في الشرق ، ترجمة : إلياس شاهين ، (دار التقدم ، موسكو ، روسيا : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م) ، ص ٣٢ .
- (١٦) ميخائيل زوريوف ، الصليبيون في الشرق ، ص ٣٢ ؛ جونثان ديلي سمث ، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية ، ترجمة : محمد فتحي الشاعر ، ط ٣ ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) ، ص ٤٦ .
- (١٧) ميخائيل زوريوف ، الصليبيون في الشرق ، ص ٣٢ .
- (١٨) ميخائيل زوريوف ، الصليبيون في الشرق ، ص ٣٢ ؛ كلود كاهين ، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ترجمة : أحمد الشيخ ، ط ١ ، (سينا للنشر ، القاهرة ، مصر : ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م) ، ص ٥٧ .
- (١٩) ابن الأثير ، ابو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ، (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق : عمر عبد السلام التدمري ، ط ١ ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان : ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) ، ج ٨ ، ص ٢٢٣ ؛ الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تحقيق : عمر عبد السلام التدمري ، ط ٢ ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان : ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) ، ج ٢١ ، ص ١١ .
- (٢٠) ميخائيل زابوروف ، الصليبيون في الشرق ، ص ٣٧ .
- (٢١) خاشع المعاضيدي ، وآخرون ، الوطن العربي والغزو الصليبي ، (دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل ، الموصل ، العراق : ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ، ص ٣٠ .
- (٢٢) خاشع المعاضيدي ، الوطن العربي والغزو الصليبي ، ص ٣٠ .
- (٢٣) ميخائيل زابوروف ، الصليبيون في الشرق ، ص ٤١ ؛ محمود سعيد عمران ، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥-١٢٩١م ، (دار المعرفة الجامعة ، الإسكندرية ، مصر : بلا.ت) ، ص ٢٥ .
- (٢٤) جونثان ريلي ، الحملة الصليبية الاولى ، ص ٤١ .
- (٢٥) محمد عبد الله عنان ، (ت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م) ، دولة الإسلام في الأندلس ، ط ٤ ، (مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر : ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) ، ج ٢ ، ص ٤٠٢ .
- (٢٦) خاشع المعاضيدي ، الوطن العربي والغزو الصليبي ، ص ٣١ .

- (٢٧) أمين معلوف ، الحروب الصليبية كما رآها العرب ، ترجمة: عفيف دمشقية ، ط١، (دار الفارابي ، بيروت ، لبنان : ١٤١٠هـ/١٩٨٩م) ، ص ٢١ .
- (٢٨) ول ديورانت ، وويليام جيمس ديورانت ، (ت١٤٠١هـ/١٩٨١م) ، قصة الحضارة ، تقديم : محيي الدين صابر ، ترجمة : زكي نجيب محمود واخرين ، (دار الجبل ، بيروت ، لبنان : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ، ج١٤ ، ص ٢١٢ .
- (٢٩) سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في الجهاد العربي في العصور الوسطى ، ط٣ ، (مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، مصر : ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ، ج١ ، ص ٣٣ ؛ قاسم عبدة قاسم ، اثر الحروب الصليبية في العالم العربي ، ط١ ، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان : ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) ، ص ١٢٦ .
- (٣٠) سيد علي الحريري ، الأخبار السنوية في الحروب الصليبية ، ط٣ ، (الزهراء للأعلام العربي ، القاهرة ، مصر : ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م) ، ص ٢٧ .
- (٣١) خاشع المعاضيدي ، الوطن العربي والغزو الصليبي، ص ٣٢ ؛ سيد علي الحريري ، الأخبار السنوية في الحروب الصليبية ، ص ٢٧ .
- (٣٢) محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٢٧ .
- (٣٣) خاشع المعاضيدي ، الوطن العربي والغزو الصليبي، ص ٣٤ .
- (٣٤) محمد فياض حمادي الزويبي ، المقاومة العربية الإسلامية للغزو الصليبي حتى معركة حطين ، أطروحة دكتوراه غير منشوره مقدمة الى مجلس كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ، العراق : ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) ، ص ٤٨ .
- (٣٥) نيقية : هي مدينة تركية من أعمال إسطنبول على البر الشرقي منها ، ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، (دار صادر، بيروت ، لبنان : ١٤١٦م/١٩٩٥م) ، ج ٥ ، ص ٣٣٣ .
- (٣٦) ابن القلانسي ، حمزة بن أسد بن علي بن محمد (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م) ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق: سهيل زكار ، ط١ ، (دار إحسان للطباعة والنشر، دمشق ، سوريا : ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ، ص ٢١٩ ؛ خاشع المعاضيدي ، الوطن العربي والغزو الصليبي ، ص ٣٤ .
- (٣٧) الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٤١٦ .
- (٣٨) محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥ - ١٢٩١م ، (دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر : بلا . ت) ، ص ٢٨ .
- (٣٩) سيد علي ، الأخبار السنوية ، ص ٢٨ .
- (٤٠) سيد علي ، الأخبار السنوية ، ص ٢٨ .
- (٤١) محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٧٦ .

- (٤٢) محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٧٧
- (٤٣) محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٧٦
- (٤٤) سعيد عبد الفتاح ، الحركة الصليبية ، ص ٦٠٧ - ٦٠٩ .
- (٤٥) محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٧٨-٧٩
- (٤٦) محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٧٩ .
- (٤٧) محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٧٩-٨٠ .
- (٤٨) محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٨٤ .
- (٤٩) محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٨٤ .
- (٥٠) محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٨٤ .
- (٥١) محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٨٤ .
- (٥٢) محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٨٤-٨٥ .
- (٥٣) سعيد عبد الفتاح ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦١١ .
- (٥٤) محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٨٦ .
- (٥٥) محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٩٩-١٠٠ .
- (٥٦) محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ١٠٠ .
- (٥٧) محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٩٨ - ١٠٠ .
- (٥٨) محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ١٠٠ .
- (٥٩) إسمت غنيم ، الحملة الصليبية الرابعة ومسئولية انحرافها ضد القسطنطينية ، (دار المعارف ، القاهرة ، مصر : ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م) ، ص ١٨-١٩ .
- (٦٠) إسمت غنيم ، الحملة الصليبية الرابعة ، ص ١٨-١٩ .
- (٦١) إسمت غنيم ، الحملة الصليبية الرابعة ، ص ١٩ .
- (٦٢) إسمت غنيم ، الحملة الصليبية الرابعة ، ص ٤٧ .
- (٦٣) إسمت غنيم ، الحملة الصليبية الرابعة ، ص ٤٧ .
- (٦٤) إسمت غنيم ، الحملة الصليبية الرابعة ، ص ٤٧ .
- (٦٥) إسمت غنيم ، الحملة الصليبية الرابعة ، ص ٤٧ .
- (٦٦) إسمت غنيم ، الحملة الصليبية الرابعة ، ص ٧٧ .
- (٦٧) إسمت غنيم ، الحملة الصليبية الرابعة ، ص ٧٧ - ٧٨ .
- (٦٨) إسمت غنيم ، الحملة الصليبية الرابعة ، ص ٩٢ .
- (٦٩) إسمت غنيم ، الحملة الصليبية الرابعة ، ص ٩٤ .
- (٧٠) إسمت غنيم ، الحملة الصليبية الرابعة ، ص ٩٤ - ٩٢ .

- (٧١) إسمنت غنيم ، الحملة الصليبية الرابعة ، ص ٩٦ .
- (٧٢) سعيد عبد الفتاح ، الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص ٨٩٦-٨٩٧ .
- (٧٣) سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية ، ج٢، ص ٨٩٧ .
- (٧٤) ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، ص ٣١ .
- (٧٥) خاشع المعاضيدي، الوطن العربي والغزو الصليبي، ص ٢١ .
- (٧٦) ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، ص ٣٠-٣١ .
- (٧٧) ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق ، ص ٣١ .
- (٧٨) ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق ، ص ٣١ .
- (٧٩) ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق ، ص ٣٢ .
- (٨٠) خاشع المعاضيدي، الوطن العربي والغزو الصليبي، ص ٢٢ .
- (٨١) سعيد عبد الفتاح ، الحركة الصليبية ، ج٢، ص ٨٩٧ .
- (٨٢) محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٢٨ .
- (٨٣) محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٧٦ .
- (٨٤) محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٧٦ - ٧٧ .
- (٨٥) محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٧٩ .
- (٨٦) محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٨٤-٨٥ .
- (٨٧) خاشع المعاضيدي، الوطن العربي والغزو الصليبي، ص ٢٢ .
- (٨٨) إسمنت غنيم، الحملة الصليبية الرابعة ، ص ١٤-١٥ .
- (٨٩) سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية ، ج٢، ص ٨٩٦ - ٨٩٧ ؛ إسمنت غنيم ، الحملة الصليبية الرابعة ،

ص ٩٦

- (٩٠) ميخائيل زابوروف ، الصليبيون في الشرق ، ص ٣١-٣٢ .
- (٩١) عفاف سيد صبرة ، الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية ، ص ١١٧ .
- (٩٢) محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٧٦ .
- (٩٣) محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٢٨ .
- (٩٤) محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٢٨ .

English Reference

- Richard A. Sullivan, the heirs of the Roman Empire, translated and presented by: Joseph Nassim Youssef, (University Youth Foundation, Alexandria, Egypt: 1406h/1985g)
- Mahmoud said Omran, landmarks of the history of the Byzantine Empire, (Dar Al-marefa University, Alexandria, Egypt: PLA t).

- Rafat Abdel Hamid , Byzantium between thought, religion and Politics, Vol. 1, (ain foundation for social studies and research, Cairo, Egypt: 1418h/1997g)
- Suhail Zakar, the Levantine Encyclopedia of the history of the Crusades, (Damascus, Syria :1416 Ah/1995 ad) ،
- Ihsan Abbas, (d. 1424 Ah/ 2003 ad), Arabs in Sicily, 1st Floor, (House of culture, Beirut, Lebanon : 1395 Ah / 1975 ad)
- Afaf Sayed Sabra , the Byzantine and Western Roman empires at the time of Charlemagne, (Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Cairo, Egypt: 1402 Ah /1982 ad),.
- Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir Ibn Yazid, (d. 310 Ah / 922 ad), history of the apostles and Kings, Vol. 1, (scientific books House, Beirut, Lebanon : 1407 Ah / 1986 ad)
- Ibn al-Jawzi, Jamal al-Din Abu Al-Faraj Abd al-Rahman (d. 597 Ah / 1200 AD), regular in the history of kings and nations, investigation : Mohammed Abdul-Kader Atta and Mustafa Abdul-Kader Atta, Vol.1, (scientific books House, Beirut, 1412 Ah / 1992 ad).
- Mikhail zurov, the Crusaders in the East, translated by Ilyas Shahin, (Dar Al-taqadr, Moscow, Russia: 1407 Ah / 1986 ad)
- Jonathan Daley Smith , the First Crusade and the idea of the Crusades, translated by : Mohamed Fathi the poet, Vol. 3, (Egyptian General Authority for writers, Cairo, Egypt : 1420 Ah /1999 ad)
- Mikhail zurov , the Crusaders in the East, P .32; Claude Kahin, East and West at the time of the Crusades, translated by Ahmed Al-Sheikh, Vol. 1, (Sina publishing, Cairo, Egypt : 1416h /1995g), P. 57.
- Ibn al-Athir, Abu al-Hassan Ali ibn Abi Al-Karam Muhammad (d. 630 Ah / 1232 ad), al-Kamil in history, investigation: Omar Abdel Salam Al-tadmouri, 1st floor, (Dar Al-Kitab al-Arabi, Beirut, Lebanon:1417 Ah/1997 ad)
- Al-dhahabi , Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad(d.748 Ah/1347 ad) the history of Islam and the deaths of celebrities and the media, investigation: Omar Abdel Salam Al-tadmouri, Vol. 2, (Dar Al-Kitab al-Arabi, Beirut: 1413 Ah/1993 ad).
- Khasha Al-maadidi and others, the Arab world and the Crusader invasion, (Dar Al-Kitab for printing and publishing, University of Mosul, Mosul, Iraq: 1401H/1981G), P. 30
- Mahmoud said Omran, the history of the Crusades 1095-1291, (Dar Al-marefa University, Alexandria, Egypt : no. C),.
- Mohammed Abdullah Anan, (d. 1406h/1985g), the state of Islam in Andalusia, Vol.4, (Al-Khanji library, Cairo, Egypt: 1417h / 1997g), Vol. 2, p. 402.
- Amin Maalouf , the crusades as seen by the Arabs , translated by: Afif damascia, Vol .1, (Dar Al-Farabi, Beirut, Lebanon :1410 Ah/1989 ad), P. 21.
- W. L. Durant, William James Durant, (d.1401 Ah/1981 ad), the story of civilization, introduction : Mohyeldin saber, translation : Zaki Naguib Mahmoud and others, (Dar Al-Jabal, Beirut, 1408 Ah / 1988 ad).



-
- Said Abdel Fattah Ashour , the Crusader movement is a bright page in the Arab jihad in the Middle Ages, Vol. 3, (Anglo-Egyptian library, Cairo, Egypt: 1396 Ah/1976 ad)
 - Kassem Abda Kassem, the impact of the crusades in the Arab world, Vol. 1, (Arab Foundation for studies and publishing, Beirut, Lebanon: 1408 Ah/1987 ad)
 - Sayyid Ali al-Hariri , Sunni news in the Crusades, Vol .3, (Al-Zahraa for Arab media, Cairo, Egypt :1406 Ah/ 1985 ad),.
 - Muhammad Fayyad Hammadi Al-zubaie, the Arab-Islamic resistance to the Crusader invasion until the Battle of Hattin, (unpublished doctoral dissertation submitted to the Council of the Faculty of Education Ibn Rushd, University of Baghdad, Iraq : 1423 Ah/2003 ad),.
 - Yaqut al-Hamawi, Shihab al-Din Abu Abdullah Yaqut ibn Abdullah (d. 626 Ah / 1228 ad), Dictionary of countries, (Dar Sadr, Beirut, Lebanon : 1416/1995 ad).
 - Ibn al-qalansi, Hamza Ibn Asad ibn Ali ibn Muhammad (d. 555 Ah/ 1160 ad) history of Damascus, investigation: Suhail Zakar, 1st floor, (Ihsan printing and publishing house, Damascus, Syria: 1403 Ah/1983 ad)
 - Mahmoud said, the history of the Crusades 1095-1291, (Dar Al - marefa University, Alexandria, Egypt : no . C)
 - Ismet Ghoneim , the Fourth Crusade and the responsibility of its deviation against Constantinople, (Dar Al-Maarif, Cairo, Egypt :1406 Ah/1985 ad), pp. 18-19